إنجيل متى ١٣: ١-٢٣

مثل الزارع[١]

تأليف: تومي ساوث

« ... *فكلمهم كثيراً بأمثال قائلاً: هوذا الزارع قد خرج ليزرع، ...* » (متى ١٣: ١-٢٣).

يشار إلى يسوع عادة بـ« السيد المعلم » لأنه كان يعرف كيف ينقل الحق ليثبت في قلوب الناس. من إحدى وسائل تعليمه التي لا تنسى والأكثر فعالية كانت الأمثال التي نطق بها.

« المثل » هو مجرد مقارنة، اما في شكل عبارة بسيطة أم سرد قصة.[٢] إذا ما حسبنا الأمثال التي هي على شكل قصص، فاننا نجد ثلاثين فقط من أمثال يسوع في مختلف الأناجيل. وعندما نحسب كل الأمثال التي هي في شكل التشبيه، نجد منها حوالي الستون.[٣] يحتوي الأصحاح ١٣ من إنجيل متى على بعض من أمثال يسوع الأكثر أهمية، يحتوي هذا الأصحاح بأكمله تقريباً على أمثال عن ملكوت الله (أو « ملكوت السموات »، كما يسمى في هذا الأصحاح). تكشف هذه القصص عما « يشبه » الملكوت.

قبل ان ندرس مثل الزارع، علينا ان ننظر إلى السبب الذي دعى يسوع ليعلم بالأمثال. احد أغراض التحدث بالأمثال هو توضيح الحق، واعطاء بصيرة روحية هامة. يعطي مثل الابن الضال بصيرة لرؤية طبيعة واستعداده للغفران.

أحياناً يكون ليسوع غرض آخر بالتكلم بالأمثال، كما هو موضح في إنجيل متى ١٣: ١٠-١٣:

> فتقدم التلاميذ وقالوا: « لماذا تكلمهم بأمثال؟ » فأجاب وقال لهم: « لأنه قد أُعْطِيَ لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات؛ وأما لأولئك، فلم يُعْطَ. فإن من له، سَيُعْطَى ويزاد؛ وأما من ليس له، فالذي عنده سيؤخذ منه. من أجل هذا أُكلمهم بأمثال: لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون ».

بعد هذا جاء سؤال من إشعياء ٦: ٩ و١٠ عن غلاظة قلوب الشعب وعدم فهمهم. كان يسوع يتكلم بأمثال أحيان ليس لتوضيح الحق، بل ليخفيه عن الذين لم يرغبوا في قبوله. المفهوم الضمني للآيات من ١٠ إلى ١٧ لا يوضح ان يسوع منع البعض من رؤية حق الرسالة، وإنما انهم رفضوا الحق الذي علمهم إياه بكل وضوح. لا يوجد سبب في اعطاءهم المزيد من الحق الذي سيجهلونه. عادة ما يتم تفسير الآيتين ١٤ و١٥ خارج مفهوم النص. تم التنبوء بهذه النبوة لإسرائيل المتمردة، الشعب الذي كان يرفض وحي الله الواضح إليه. واستخدمها يسوع ليعبر عن الشعب الذي كان في أيامه والذين كانوا يشككون فيه أكثر مما ينبغي وفي

---

[١] لا يسمح لنا المجال بسرد جميع الأمثال التي وردت في إنجيل متى، لهذا سنخصص دروس قليلة لبعض الأمثال الأكثر أهمية و/أو الأمثال غير العادية.

[٢] الأمثال التي على شكل قصص هي المألوفة لدينا أكثر من غيرها. عادة ما يتم تعريف المثل على انه « قصة أرضية ذات معنى سماوي ». ولكن بعض من أمثال يسوع ليست على شكل قصص. على سبيل المثال، يقول متى ١٣: ٣٣: « يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ». هذه ليست قصة، وإنما هو مثل حقيقي بسبب المقارنة بين الملكوت مع استخدام المرأة للخميرة.

[٣] يقال عادة انه لا يوجد أمثال في إنجيل يوحنا. هذا صحيح إن كنا نتحدث فقط عن الأمثال التي على شكل قصص. ولكن يوجد عدد من عبارات المقارنة مبعثرة خلال إنجيل يوحنا، على سبيل المثال: يوحنا ٣: ٨ و٢٩؛ ٤: ٣٥-٣٨؛ ٥: ١٩؛ ٨: ٣٥؛ إلخ. وأيضاً تحدث يسوع بتكرار عن نفسه بصيغ المقارنة، مثل في قوله: « أنا هو ».

رسالته: «لا تعطيهم ما لا يريدون ان يقبلوه. التلاميذ الحقيقيون سيفهمون الرسالة على شكل مثال».

علينا ان نعلم بان المثال ليس قصة رمزية. القصة الرمزية هي التي يعبر فيها كل شخصية أو مكان أو شيء، بشيء آخر. أما المثل فله عادة نقطة رئيسية واحدة، سيكون انتهاكاً لمقصود الأمثال إذا ما تم تفسيرها بالتمادي كما لو كانت قصص رمزية.[٤] يوجد لمثل الزارع نقتطين رئيسيتين.

الزارع

يقول البعض انه يجب تسمية مثل الزارع بمثل التربة، لأن نوع التربة هو الموضوع الرئيسي فيه. ولكن لاحظ ان يسوع اسماه «مثل الزارع» (متى ١٣: ١٨). انه فعل ذلك لسبب مقنع. يخبر هذا المثل أتباع يسوع الذين كانوا على وشك ان يصيروا مبشرين برسالة الملكوت ببعض المباديء التي وجب عليهم معرفتها.

من الواضح ان مهمتهم ستكون صعبة، ولكن ذكرهم المثل بالآتي: (١) عملهم هو أن يزرعوا البزرة، ولا يكونوا مسؤولين عن انتاج الثمار. (٢) لا تنبت كل البزور المزروعة ولكن يوجد دائماً البعض منها التي تنبت. لهذا وجب عليهم أن يستمروا بالزراعة. (٣) توجد قوة الحصاد في البزرة، وليس في الزارع. عليهم ان يتأكدوا فقط بانهم يزرعون الكلمة. يمكن ليسوع ان يقول بكل بساطة هذا المثل لأتباعه اليوم. لا يرغب كثير من المسيحيين في التبشير بالإنجيل خوفاً من الإخفاق. ولكن هذا المثل يقول بان الله لا يعتبرنا مسؤولين عن نجاح أو إخفاق جهودنا لنشر كلمته. انه يعتبرنا مسؤلين عن زرع البزرة. يشمل هذا على مطلبين مهمين وهما: (١) القيام بالزرع. (٢) زرع البزرة الصحيحة. إن كنا نزرع ما تكفى من كلمة الله، فإن بعضها ستنتج ثمارا في وقت لاحق لا يجب ان نفقد العزيمة في مواجهة مسؤليتنا التبشيرية.

الأرض

تفسير يسوع لهذا المثل يبين ان «الأرض» تمثل رد فعل قلوب الناس للكلمة التي هي البذار. هذا المثل يضع التوكيد على المسؤولية لسماع رسالة الملكوت بكل انتباه:

> «من له أُذنان للسمع فليسمع» (متى ١٣: ٩).
>
> «من أجل هذا أكلمهم بأمثال: لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون، ولا يفهمون» (متى ١٣: ١٣).
>
> «ولكن طوبى لعيونكم، لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم: إن أنبياء وأبرار كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا!» (متى ١٣: ١٦ و١٧).

مسؤولية انتاج الثمار ليست على عاتق الزارع، وانما على السامع. انه يتوقف على كل منا كيف نستمع إلى الكلمة. علينا ان ننتبه إلى تحذيرات يسوع بأن نستمع الاستماع جيد.

الأرض الرديئة

يوضح هذا المثل ثلاث فئات من الخطية التي تمنع كلمة الله من أن تتأصل في قلوبنا: أولها هي غلاظة القلب:

> هوذا الزارع قد خرج ليزرع. وفيما هو يزرع، سقط بعض على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته .... كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه: هذا هو المزروع على الطريق (١٣: ٣ و٤، ١٩).

«الطريق» الذي ذكره يسوع هو الدرب الضيق بين الحقول. يستعمله الناس للذهاب والاياب من العمل، ولم يُزرع فيه أبدا، لهذا غلظ.

قال يسوع بان هذه الأرض الصلبة جداً تمثل الذين لا يفهمون. هذا لا يعني بانهم غير قادرون على الفهم، بل انهم لا يريدون ان يفهموا (١٣: ١٣). هؤلاء الناس يرفضون ان يقنعهم أحد بالإنجيل.

---

[٤] يوجد بعض الاستثناء. على سبيل المثال: مثل الحنطة والزوان (متى ١٣: ٢٤-٣٠، ٣٦-٤٣) قد أخذ هذا شكل قصة رمزية.

يرفضون ان يؤمنوا، ويرفضون التوبة، ويرفضون ان يعتمدوا، يرفضون ان يحملوا صليبهم ويتبعوا يسوع. مثال ذلك هم الفريسيون في الأصحاح الثاني عشر: مهما سمعوا من يسوع أو رأوا منه، تبقى قلوبهم مغلقة تماماً.[٥] بما ان البذار لا يخترق قلوب الناس مثل هؤلاء، لا يمكن أن ينتج ثمر. يمكن للبعض أن يسمعوا الإنجيل عاما بعد عام، ومع ذلك يبقوا غير متأثرين به. آخرون يسمعون الكلمة ويقولون: «لا معنى لهذا»، بينما تكون ذات معنى جميل للذين لم تغلظ قلوبهم. تقول (١ كور ١: ١٨): «فإن كلمة الصليب عند الهلكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين، فهي قوة الله». يتوقف الأمر عليك أن تفتح قلبك لإنجيل المسيح: «من له أُذنان للسمع فليسمع»!

الفئة الثانية من الخطية هي سطحية التعهد:

> «وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة. فنبت حالا إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس، احترق. وإذ لم يكن له أصل، جف ... المزروع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح. ولكن ليس له أصل في ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة، فحالاً يعثر» (١٣: ٣ ، ٤ ، ١٩).

الأرض «المحجرة» لم تكن هي الأرض المليئة بالحجارة، وإنما هي طبقة رقيقة من الأرض فوق طبقة صخرية. لا تصلح مثل هذه الأرض للزراعة، إذ ان جذور المحصول المزروع لا تخترق الأرض إلى حد يكفى للبقاء على قيد الحياة، رغم انها قد تبدو نامية إلى حين. يقبل بعض الناس الكلمة حالاً كما قال يسوع. هذا في حد ذاته غير سيء. يجب ان نستجيب حالا لرسالة الإنجيل، كما يعلن ذلك سفر أعمال الرسل بتكرار. المشكلة الموضحة في هذا المثل ليست في سرعة قبول الرسالة، بل هي في عدم التفكير والتزييف اللذان يصحبان صنع القرار أحيانا. هذه قد تكون مشكلة أحيانا عندما يسمع احد الرسالة ويقرر دون ان يفكر جليا مضامين التعهد الذي طلب منه ان يتعهد به. مثل هذا «الإيمان» لا يقاوم «سخونة» المحنة والاضطهاد. يجب على المزارعين ان يحترسوا لئلا يقدموا المسيحية كديانة الراحة، ويجب على السامعين ان يحترسوا وإلا فانهم يقبلون رسالة لم يكونوا مستعدين ان يطبقوها في حياتهم.

الفئة الثالثة من الخطية هي الإنشغال بأمور هذا العالم:

> «وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه ... المزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح، وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة، فيصير بلا ثمر» (١٣: ٧ و٢٢).

من احد أسباب سقوط الكثيرين هو ان الله لم يجذب انتباههم قط. إذ انهم منشغلين بأمور الدنيا، أو المال، أو السعي وراء الملذات عوضا عن البحث عن الملكوت. إذا انشغلنا كثيرا بأمور هذا العالم، يكون من المستحيل ان ننموا روحيا (أنظر كولوسي ٣: ١-٣). وأخيرا قد يزول الإيمان برمته. خنق حتى الموت بهموم هذا العالم. قال بولس بان ديماس قد تركه لأنه «أحب العالم الحاضر» (٢ تيموثاوس ٤: ١٠). كم مرة ترك الناس المسيح للسبب نفسه! ما يحول انتباههم قد يكون أعمالهم، أو هوايتهم، أو حتى أُسرتهم، ليس بالضرورة أن تكون أشياء شريرة، ولكن المشغوليات هي التي خنقت الكلمة في حياتهم ولم تترك مكانا للمسيح.

الأرض الجَيِّدة

بالمقارنة مع تلك الفئات الثلاث الذين غلبت عليهم الخطية، فان القلوب الجيدة تمثل «الأرض الجيدة» في هذا المثل:

> «وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرا، بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين ...

[٥] تتحدث الأسفار المقدسة بقوة عن مثل هؤلاء الناس ذوي القلوب الغليظة: «قال الجاهل في قلبه: ليس إله. فسدوا ورجسوا رجاسة، ليس من يعمل صلاحا» (مزمور ١:٥٣).

المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر. فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين » (١٣: ٨ و٢٣).

علينا أن نسأل: « ما الذي جعل هذه الأرض جيدة؟ » قال يسوع انها الرغبة في ان « يسمع الكلمة ويفهم ». الأرض الجيدة هي عكس الأرض الرديئة. قلوب هؤلاء الناس ليست غليظة، وتعهداتهم غير سطحية، وهم غير مشغولين بهموم هذا العالم. هذا هو نوع القلب الذي يريد الله ان تقدمه له، النوع الذي يقبل الكلمة، ويفهمها، ويجعلها تنمو. ومن ثم يمكن لله ان يعمل مشيئته في حياتك ويخلصك من خطاياك. مثل هذا القلب « يأتي بثمر » – ليس بالكمية نفسها. لأننا جميعنا مختلفين. ولكن لا يفشل هذا البذار في ان يثمر إذا ما سُمح له بذلك. ستعمل كلمة الله الكثير من الخيرات في حياتك إذا سمحت لها!

الخلاصة

يجعل هذا المثل من الضروري ان نطرح السؤال: « أي نوع من الأرض أنا؟ » الذي يحسم الأمور عند يسوع هو الرغبة لسماع كلامه. هل قلبك مفتوح لرسالته؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧